الفصل الثانى

فى إعلام وثقافة الطفل

* الاتصال والثقافة .
* مفهوم الثقافة .
* أهم مميزات الثقافة .
* التكامل الثقافى .
* أثر الثقافة فى الشخصية .
* عموميات وخصوصيات وبديلات الثقافة .
* ثقافة الأطفال .
* الثقافة وشخصية وسلوك ونمو الطفل .
* تفكير الأطفال وعلاقته بالتثقيف .
* الاتصال بالأطفال .

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد:

تخدم أبحاثنا مجال اجتماعى إنسانى وهو إعلام وثقافة الطفل . وكتخصص لا تخرج دراساتنا عن ثلاثة محاور أساسية : الإعلام ، الثقافة ، الطفل . وعلى الباحث فى هذا المجال الإلمام بالمحاور الثلاثة ، حتى تكون دراسته إضافة لما سبقوه ، خاصة وأن إعلام وثقافة الطفل ما زال فى مرحلة مبكرة تحتاج إلى الدراسات المتعمقة التى تسهم فى تكوين نظريات وأسس تشكل أساساً قوياً لهذا العلم الحديث .. إعلام وثقافة الطفل .

ولن نتطرق هنا إلى تعريفات الإعلام المختلفة والتى درسها طلابنا فى كليات التربية النوعية وكلية الإعلام ، لأننا لن نضيف جديداً . ولكن يمكن الرجوع إلى تعريف العالم الألمانى «أوتوجروت» للإعلام والذى يقول : « إن الإعلام هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت» . ولمن يريد المزيد الرجوع إلى كتب الإعلام والاتصال ، وهى كثيرة .

وسوف يركز هذا الفصل على «ثقافة الطفل» مع الإشارة إلى تعريفات الثقافة وتكاملها وعناصرها وأثرها فى الشخصية ، ثم علاقة الثقافة بسلوك وتفكير الأطفال . ونبغى من ذلك مساعدة الباحث على فهم العلاقة بين الإعلام ، والاتصال بالأطفال وثقافتهم .

الاتصال والثقافة :

الاتصال وسيلة لنشر الثقافة ، والاتصال أسلوب حياة . كما أن الثقافة بمفهومها الواسع بمجموعة النظم السائدة فى المجتمع ، فهى أيضا أسلوب حياة . وعلى ذلك فهناك علاقة وطيدة بين الاتصال والثقافة ويمكن القول أنهما وجهان لعملة واحدة .

والاتصال يؤثر فى ثقافة الفرد وثقافة المجتمع، كما أن الثقافة تحدد بشكل كبير أنماط ومضمون الاتصال فى المجتمع . فالثقافة الأوربية تستخدم أو تفرز أنماطاً من الاتصال تختلف عن تلك التى تفرزها ثقافة الدول النامية . كما أن وسائل الاتصال فى المجتمع الإسلامى تعمل فى إطار من القيم الإسلامية وهكذا .

وعلى ذلك وجب تناول مفهوم الثقافة وأهم مميزاتها وأثرها فى شخصية الفرد والمجتمع قبل أن نختتم موضوع هذا الجزء الخاص بعلم الاتصال لتوضيح العلاقة بين هذين المفهومين ، الاتصال ، والثقافة .

ومفهوم التكامل بين الاتصال والثقافة يأتى على نطاق عالمى وليس محلياً فقط ، فقد أشار (المؤتمر العالمى للسياسات الثقافية) الذى عقد بالمكسيك عام ١٩٨٢ تحت إشراف اليونسكو ـ أشار إلى أن الاتصال هو أحد العناصر المكونة للثقافة وأحد عوامل اكتسابها وإثرائها ، والاتصال يساعد على التعبير عن الثقافة ونشرها .

وأكدت التوصيات الناجمة عن هذا المؤتمر هذا المعنى فى أكثر من موضع ، حيث جاء فى هذه التوصيات :

- إن الاتصال ظاهرة اجتماعية ثقافية غاية فى التعقيد ، وجزء لا يتجزأ من الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، والأرضية التربوية والتكنولوجية لجميع الأمم .
- إن التزايد والتنوع الذى تتسم بهما وسائل الاتصال قد أثر ـ مع الحياة اليومية ـ على الأشخاص والشعوب وعلى أنماط علاقاتهم ونظمهم القيمية .
- إنه من الأهمية بمكان نشوء تعاون بين وسائل الاتصال من أجل مشاركة أكبر عدد من الناس فى الحياة الثقافية وبغية تحقيق دمقراطية الثقافة .
- إنه من الأهمية حدوث تعاون بين وسائل الاتصال لتحقيق الازدهار الثقافى للأفراد والمجتمعات.

أولاً : مفهوم الثقافة :

اصطلاح الثقافة "Culture" اصطلاح حديث نسبيا ، رغم أن معناه عُرف منذ زمن بعيد ، ورغم الحديث عن الثقافة بشكل دائم ، إلا أنها مازالت مفهوماً خلافيا بين الكثيرين . وتعددت مفاهيم الثقافة لتتسع أو تضيق ، لتنحصر أو تشمل ، وتعددت التعريفات واختلفت باختلاف وجهة نظر أصحاب التعريفات وتخصصاتهم . وينظر البعض للثقافة على أنها مرتبطة بالمجتمعات ، بينما ينظر البعض الآخر إليها على أنها مرتبطة بأشخاص ، وهؤلاء يهتمون بالمثقف أكثر من اهتمامهم بالثقافة .

ولم يتخذ لفظ ثقافة معنى محدداً إلا على أيدى علماء الاجتماع المعروفين بالإنثروبولوجيين ، والذين يرجع إليهم الفضل فى أن موضوع الثقافة أصبح ميداناً علمياً مستقلاً ، وأصبح يطلق على المتخصصين فيه اصطلاح «الثقافيون» Culturologi-sts .

وقد استبعد هؤلاء الثقافيون كثيرا من معانى الثقافة فى اللغات الأوربية بوجه خاص كمعنى التثقيف والتهذيب والتربية النباتية والزراعة .. إلخ ، وأصبحوا يستعملونه كاصطلاح للدلالة على :

كل ما صنعه أى شعب من الشعوب أو أوجده لنفسه من مصنوعات يدوية ونظم اجتماعية سائدة وأدوات وأسلوب للتعبير وباختصار:

كل ما صنعه الإنسان أينما وجد .... ،

فالثقافة من وجهة النظر «الإنثروبولوجية» هى مجمل التراث الاجتماعى ، أو هى أسلوب حياة المجتمع ، وعلى ذلك فإن لكل شعب فى الأرض ثقافة ، بمعنى أن له أنماطا معينة من السلوك والتنظيم الداخلى لحياته ، والتفكير ، والمعلومات التى اصطلحت عليها الجماعة فى حياتها ، والتى تتناقلها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعى[1] .

ومع أن لكل شعب ثقافة خاصة به ، ينفرد بها عن غيره من الشعوب ، إلا أن هناك تشابهاً بين الشعوب فى بعض العناصر الثقافية ، خاصة تلك التى تتعلق بإشباع الحاجات الأساسية للإنسان من غذاء وكساء ومأوى وإشباع جنسى ، والتى يشترك فيها كل البشر على اختلاف مستوياتهم .

والحقيقة أن فكرة الثقافة التى تقوم على إشباع الفرد لحاجاته الأساسية وطريقة إشباع الفرد لتلك الحاجات هى التى تميز ثقافة عن أخرى .

ومن المتفق عليه أن للثقافة بعدان ، **الأول** : مادى ويشمل الأشياء المادية التى يوجدها المجتمع لنفسه من مأكل وملبس وأبنية ووسائل اتصال وغير ذلك . **والثانى** : معنوى ويتمثل فى الأفكار والقيم والمبادىء التى يؤمن بها المجتمع . على ذلك فهناك ثقافة مادية Meterial Culture وثقافة لا مادية Non Meterial Culture وهما وجهان لعملة واحدة وهى : ثقافة المجتمع . حيث لايمكن الفصل بينهما فكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر . ويجب أن يكون هناك إنسجام تام بين جانبى الثقافة المادى والمعنوى من أجل ثبات ورسوخ ودوام ثقافة المجتمع .

وقوام الكيان الثقافى هو محصلة عناصر الثقافة فى المجتمع ، وهذا الكيان ليس مجموع هذه العناصر ، ويبدو أنه ليس حاصل ضربها أيضا . بل هو الطريقة التى تنتظم بها تلك العناصر بعضها مع البعض الآخر لتؤلف كلاً . فالعناصر الثقافية المختلفة قد تتواجد فى كل مجتمع ولكنها تختلف فى انتظامها ضمن بنيان الثقافة ، مثلها فى ذلك مثل العمارات العديدة ، التى تقام من مواد واحدة ، إلا أنها تختلف فى تصميماتها الهندسية وفى وظائفها[٢] .

ونورد فيما يلى بعض التعريفات لمفهوم الثقافة :

- فى لغتنا العربية يحمل مفهوم الثقافة معنى أقرب إلى (تقويم ما أعوج) ، والتقويم يحدث إذا كان هناك معيار وقيم عليا يراد الوصول إليها . وثقف الأرض أى سواها وجعلها صالحة للزراعة .

- ويقول د. «محمد الرميحى» إن الثقافة مدركا كاملا من الحياة المادية والفكرية التى يبتكرها الإنسان لينظم بها حياته الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ليكسب الإنسان بها إنسانيته .

- وتعرف «كوثر كوجك» الثقافة : بأنها مجموع ما يحصل عليه الفرد من مجتمعه ، وهى كل مركب يشمل المعرفة والفنون والأخلاق والمعتقدات والقانون والعرف والعادات وسائر الأدوات المادية والفكرية التى يستطيع بها الفرد إشباع حاجاته الحياتيه والاجتماعية وتكييف نفسه لبيئته .

ـ ويعرف (ريتشارد ماك كيون) فى كتابه (أصالة الثقافات ودورها فى التفاهم الدولى) الثقافة بأنها أنماط ناشئة عن تطور تاريخى ، ومن ناحية أخرى إنها مجموعة من العادات يعترف بكونها مقبولة فى جماعة معينة ، كما يمكن متابعة آثارها فى كل دوائر النشاط الإنسانى ، كالسياسة والحقوق والفن والدين ، والمعرفة العقلية فى مختلف صورها .

ـ ويعرف «تايلور» Tulor الثقافة بأنها ذلك الكل المركب المعقد الذى يشمل المعلومات والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعرف والتقاليد والعادات ، وجميع القدرات الأخرى التى يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضواً فى جماعة[٣] .

ـ وعموماً ، يتفق أغلب العلماء على وصف الثقافة بأنها فى جملتها تراث اجتماعى مكتسب ينتقل من جيل إلى جيل ويساعد الإنسان فى إشباع حاجاته البيولوجية ودوافعه النفسية ، ويتكيف هذا التراث لألوان البيئات المختلفة ويتكامل فى كل عام متسق التكوين[٤] .

ثانياً : أهم مميزات الثقافة :

مما سبق يمكننا استخلاص المميزات التالية للثقافة :

١ ـ إن الثقافة هى نتاج بشرى خالص . وهى تميز الإنسان عن الحيوان . فنماذج معيشة الحيوان ثابتة لاتتغير ، لأنها تعتمد على مجرد السلوك الغريزى ، بعكس نماذج معيشة الإنسان التى تتطور باستمرار .

٢ ـ إن الثقافة مكتسبة ، أى أن الفرد لايولد بها ، بل يصل إلى اختراعها بالعقل أو يكتسبها من المجتمع الذى يعيش فيه ، أو المجتمعات التى ينفتح عليها .

٣ ـ إنها قابلة للتغيير والتعديل وليست جامدة . وتتغير الثقافة بما تضيفه إليها الأجيال الجديدة من خبرات وأدوات وقيم وعادات وأنماط سلوك ، أو بالعكس بما تستبعده وتحذفه من بعض الأساليب أو الأفكار أو الأدوات التى لم تعد تتفق مع ظروف حياتها الجديدة .

وتبدأ عملية التغيير أولاً فى العناصر المادية للثقافة ، ويبدو فيها بسرعة بعكس العناصر المعنوية فإنها تتبع فى تغيرها للعناصر المادية ، ولذا يتم التغير فيها ببطء شديد . ومعنى هذا أن العناصر المعنوية تتخلف عن العناصر المادية فى تغيرها . وتعرف هذه

الظاهرة باسم (التخلف الثقافى) Cultural Lag[٥] .

٤ ـ بما أن الثقافة تتغير ، فيمكن اعتبارها عملية Process ، حيث إن العملية هى أى ظاهرة تتغير خلال فترة من الزمن . ونظرتنا للثقافة على أنها عملية يعنى أن هناك مدخلات تشمل كل ما يريد المجتمع أن يضمنه فى ثقافته من عناصر مادية وعناصر معنوية ، وهناك مخرجات تشمل ما يتم استيعابه والتفاعل معه من تلك العناصر لينتج لنا ثقافة خاصة بالمجتمع .

ويوضح الشكل التالى مكونات الثقافة باعتبارها عملية :

مكونات عملية الثقافة

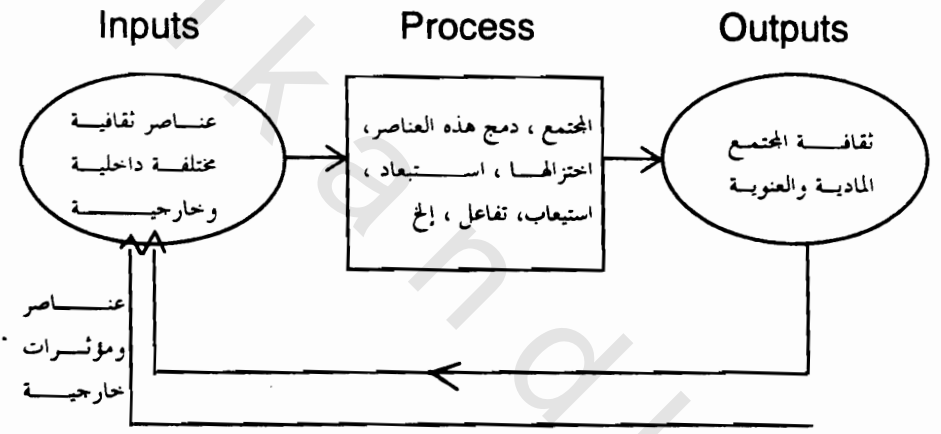

٥ ـ إن الثقافة تنتقل من جيل إلى جيل على شكل نظم وتقاليد وعادات وأفكار ومعارف يتوارثها الخلف عن السلف . كما أنها تنتقل من وسط اجتماعى إلى وسط اجتماعى آخر .

ثالثاً : التكامل الثقافى : Culture Integration

يتكون البناء الثقافى من جهاز منسق منظم من النظم الاجتماعية الرئيسية Social Institution التى تمثل نواحى الحياة المختلفة .

وحتى نفهم أى ثقافة لابد من معرفة نظمها الاجتماعية وتحليل هذه النظم . ويرى (مالينفسكى) Bronislaw Malinowski (إنجليزى ـ بولندى المولد) أن أحسن وصف لأى ثقافة ، وصفا مبيناً على الحقيقة الملموسة ، يجب أن يقوم على معرفة نظمها

الاجتماعية ، وتحليل هذه النظم التى تنتظم فيها هذه الثقافة . كما يتفق معظم العلماء على الأهمية البالغة لدراسة النظم الاجتماعية فى فهم ثقافات الشعوب ، حتى أن بعضهم قد عرف علم الاجتماع بأنه العلم الذى يدرس النظم الاجتماعية .

والنظم الاجتماعية ببساطة هى عبارة عن نماذج منظمة للسلوك . ومن النظم الاجتماعية الرئيسية التى تعتبر المقومات الأساسية لأى ثقافة : النظم الأسرية التربوية ـ الدينية ـ الأخلاقية ـ الجمالية والفنية ـ اللغوية ـ الاقتصادية ـ القانونية ـ السياسة ـ وهذه النظم تؤثر فى بعضها البعض ، وهى متداخلة مع بعضها .

وهذه النظم الاجتماعية لابد أن يسودها نوع من الانسجام كحد أدنى وشرط أساسى لاستمرار الحياة الاجتماعية ، هذا الانسجام هو ما يطلق عليه اسم التكامل الثقافى . وفقدان التكامل الثقافى يؤدى بالنسبة للأفراد إلى الاضطراب والفوضى ، وإلى مشكلات نفسية واجتماعية ، وإلى أنواع من الصراع التى قد تحول بين الجماعة وبين تطورها تطوراً سوياً .

رابعاً : أثر الثقافة فى الشخصية[٦] :

١ ـ أثر الثقافة فى الناحية الجسمية :

إن الثقافة السائدة فى شعب من الشعوب كثيرا ما تجبر الفرد على أعمال أو ممارسات قد تضر بالناحية الجسمية ضرراً كبيراً (فمثلاً : كانت العادة فى الصين فى بعض الطبقات المرفهة ، أن تثنى أصابع الأنثى وتطوى تحت القدم ، وتلبس حذاء يساعد على إيقاف نمو قدميها ، ويجعلها تمشى مشية خاصة . وكانت هذه المشية الخاصة فى نظرهم هى وصغر القدم من علامات الجمال ، كما كانت دليلاً على رفاهية صاحبتها وأنوثتها) .

ومعنى ذلك أن الجماعة التى يعيش الفرد بينها ، والثقافة التى يترعرع فيها ، هما اللتان تحددان معايير الجمال ، وتقرران ما إذا كانت هذه الصفة الجسمية أو تلك ذات قيمة جمالية أم لا .

وتختلف المجتمعات اختلافاًواسعاً فى الصفات الجسمية المحتمل اعتبارها من صفات الجمال والجاذبية ، فمعظم القبائل البدائية تعتبر السمنة من صفات الجمال والجاذبية .

وثقافة القوم ، هى التى تحدد فى كثير من الأحيان ميول الأفراد لبعض أنواع الأكل

والشرب حتى ما كان منها ضاراً بالجسم أو لايفيده الفائدة المرجوة . وأكبر دليل على ذلك حب الناس للشاى والقهوة والدخان والمشروبات الروحية ، فهذه كلها ميول مكتسبة من البيئة ومن الثقافة ، أى أنها ليست مقررة بالفطرة وحاجة الجسم الفسيولوجية ، بل ترجع فى الغالب إلى السلوك الانسياقى الذى يجرف الفرد فى تيار الجماعة .

ومما يبين أثر الثقافة فى الناحية الجسمية أيضا ما يشيع عند بعض الشعوب البدائية من ممارسات مؤلمة ضارة بالجسم كالتجويع ، والتعطيش والتعذيب ، وما تقوم به بعض الشعوب البدائية من مط الشفة أو تشريط الوجه الخ .

٢ ـ أثر الثقافة فى الناحية العقلية :

تتدخل ثقافة القوم فى مضمون إنكار الأفراد ومعتقداتهم وآمالهم ومخاوفهم وقيمهم بل فى طرق تفكيرهم نفسها أيضا .

فلا جدال فى أن الثقافة تؤثر فى الناحية العقلية للشخصية ، خاصة الناحية المعرفية الفكرية ، ويتم غرس الأفكار عند الطفل سواء فى المجتمع البدائى أو المتحضر عن طريق الأسرة . ولذلك يمكن أن يقال بحق أن أهم وظائف الأسرة مساندة التركيب الاجتماعى وتأييده ، وفى المجتمع المتحضر تشترك مع الأسرة فى غرس الأفكار وتشكيل العقليات هيئات متعددة كالمؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام .

٣ ـ أثر الثقافة فى الناحية الانفعالية (المزاجية) :

التكوين المزاجى كالتكوين الجسمى ، والقدرات العقلية المعرفية تعتبر المواد الخام التى يتكون على أساسها الخُلق وأساليب السلوك . وتتضمن الناحية المزاجية Temperamental ، تلك الاستعدادات الثابتة نسبياً ، المبنية على ما لدى الشخص من الطاقة الإنفعالية والدوافع الغريزية التى يزود بها من بداية طفولته ، والتى تعتمد على التكوين الكيميائى والغدى والدموى وتتصل اتصالاً وثيقا بالنواحى الفيسولوجية والعصبية .

ولقد أثبتت الدراسات الأنثربولوجية والثقافية أن العوامل الوراثية ، وإن كانت تلعب دوراً كبيراً فى مزاج الشخصية وانفعالاتها لاتقوم وحدها بالدور الحاسم . فالثقافة أيضاً لها دور كبير فى التأثير على الجانب الانفعالى العاطفى للفرد . فكثيراً ما تتفاعل عوامل المحيط الاجتماعى والثقافة مع هذا الجانب الانفعالى فتجعله يتشكل

ويتنوع تبعاً لها .

ولابد أن نوضح أن الثقافة لا تغير نوع أو طبيعة الانفعالات نفسها ، بل تؤثر فى كيفية التعبير عنها . أى فى تحديد وتعيين الظروف والمواقف التى تثيرها وفى اتجاهها ودرجتها ومداها وقيمتها إلخ .

أى أن للثقافة دوراً جبرياً إلزامياً فى تنميط الانفعالات (تكوين أنماط خاصة بها) (Culture Patterning of emotieris) .

فالقبائل البدائية فى جزر (اندمان والماوروى) فى نيوزيلانده الجديدة يذرفون الدموع مدراراً عندما يتقابل الأصدقاء بعد الغياب ، أو عندما يتصالح فريقان متحاربان. ويرد اليابانى على تعنيف رئيسه له بابتسامة .

كما تختلف الثقافات فى التعبير عن الانفعالات عند موت شخص عزيز ، ومن الشعوب التى تبالغ جداً فى إظهار الحزن الشعب الصينى . ولهم مؤلفات كثيرة تحتوى على مجموعات مطولة من القواعد والنصوص التى تنص على كيفية التعبير اللائق عن الحزن . ومن هذه المؤلفات مؤلف يسمى (دراسات لازمة للسيدات) .

٤ ـ أثر الثقافة فى الناحية الخلقية :

أشرنا من قبل إلى أن هناك صلة كبيرة وتداخلاً مستمراً بين النواحى الخلقية والعقلية والمزاجية للشخصية ، وأنه من الصعب أن نفصل بينهما ، غير أنه من الواضح جداً أن النواحى الخلقية أقرب كثيراً من الناحيتين الأخريين للشخصية ، إلى عوامل البيئة والوسط الاجتماعى والثقافة المهيمنة على الفرد .

فالنواحى المزاجية والعقلية هى المواد الخام التى تبنى عليها الصفات الخلقية ، ولذا فإن الأخلاق السائدة فى المجتمع هى المحصلة الناتجة من تفاعل القوى المزاجية والعقلية مع عوامل البيئة الاجتماعية والثقافية .

وكل ثقافة يسرى فيها تيار أخلاقى خاص ، ينساق فيه الفرد متأثرا بالمعايير الأخلاقية السائدة من ناحية الخير والشر والصواب والخطأ وما يجوز وما لايجوز والسلوك الشاذ فى ثقافة ما قد يكون سلوك عادياً بالنسبة لمعايير وقيم ثقافة أخرى .

فالسرقة مثلا ، تعتبر من الجرائم فى المجتمعات الحديثة ولكنها كانت مباحة فى كثير من الشعوب البدائية والقديمة حيث كانت تعتبر نوعاً من البطولة .

وكذلك أكل اللحوم البشرية ، أمر مقبول عند بعض القبائل ، وثقافة الأسكيمو تبيح لهم قتل المسنين من أهلهم ، وثقافة العرب فى الجاهلية كانت تبيح لهم وأد البنات.

وخلاصة القول أنه ثبت بالأدلة الأنثربولوجية ، أن كثيراً من الصفات الخلقية التى كان علماء النفس يعزونها إلى الفطرة والوراثة ترجع إلى حد كبير إلى فوارق الثقافة ، وعلى ذلك لم يعد صحيحاً إلى القول بأن المرأة بطبيعتها طيعة وديعة سلبية ، وأن الرجل خشن عدوانى مسيطر . ففى قبيلة «تشامبولى» فى غينيا الجديدة يقوم الرجل بدور المرأة والعكس .

فالصفات الخلقية يجب تفسيرها فى إطار الثقافة التى تخضع لها .

عموميات وخصوصيات وبديلات الثقافة :

يكتسب الفرد الثقافة من مجتمعه ، ولكنه لايحمل كل ما فى ذلك المجتمع من عناصر ثقافية . لذا تقسم الثقافة إلى عموميات وخصوصيات وبديلات[٧] ... فهناك عناصر ثقافية عامة يشترك فيها جميع أعضاء المجتمع ، كبعض الأفكار العامة والعادات والقيم واللغة ، وهى ما يطلق عليها عموميات الثقافة أو النمط العام للثقافة Culture Univ-ersals or Universal Pattern of Cultural وسعة العموميات ورسوخها فى مجتمع من المجتمعات يولد اهتمامات ومشاعر وأهدافا واتجاهات وطرقاً مشتركة تقود إلى المزيد من التماسك الاجتماعى .

وإلى جانب النمط العام للثقافة ، تختص بعض الجماعات أو القطاعات فى المجتمع بسمات معينة أخرى وهى ما يطلق عليه الخصوصيات الثقافية Cultural Specialities فلكل شريحة من المجتمع مهارات وممارسات وجوانب معرفية وأنماط وسلوك أخرى تختص بها عن بقية الشرائح .

أما ثالث العناصر الثقافية فهو ما يطلق عليه المتغيرات أو البديلات Cultural Altern-atives وهى عناصر دخيلة على ثقافة المجتمع ـ فى الغالب ـ إذ تتسرب إلى الثقافة بسبب اتصالها بثقافات أخرى . وتظل لفترة ـ قد تطول أو تقصر ـ موضع التجريب حتى يتقبلها المجتمع ويضمها إلى ثقافته أو يرفضها .. وتتميز الثقافات المرنة بكثرة البديلات فيها .

ثقافة الاطفال :

تتواجد داخل المجتمع نفسه مجموعة من الثقافات الفرعية Subcultural التى تميز قطاعات رئيسية فى المجتمع . وهى جزء من الثقافة الكلية فى المجتمع . ولكنها تختلف عنها فى بعض المظاهر والمستويات . وعلى هذا الأساس يمكن تحديد ثقافات فرعية فى كل مجتمع وفقاً لتصنيفات عديدة ، كالعمر أو المستوى التعليمى أو المهنة أو غيرها .

وثقافة الأطفال Children's Culture ، هى من هذه الثقافات الفرعية فالأطفال لهم مفردات لغوية متميزة، وعادات وقيم ومعايير ومواقف واتجاهات ، ولهم أساليبهم الخاصة فى التعبير عن أنفسهم ، وفى إشباع حاجاتهم ، ولهم نتاجات فنية ومادية ، وأزياء وغيرها .. أى لهم خصائص ثقافية ينفردون بها ولهم أسلوب حياة خاص بهم . وهذا يعنى أن لهم ثقافة هى «ثقافة الأطفال» . وتظهر فى ثقافة الأطفال الملامح الكبيرة لثقافة المجتمع . فالمجتمع الذى يولى أهمية كبيرة لقيمة معينة تظهر فى العادة فى ثقافة الأطفال.

وهناك ثقافات الأطفال الجزئية تبعاً لكل مرحلة عمرية من مراحل الطفول وتظهر فى ثقافة الأطفال العموميات والخصوصيات والبديلات .

تفكير الأطفال وعلاقته بالتثقيف:

تقتضى عملية الاتصال الثقافى للأطفال التعرف على فهم طبيعة تفكير الأطفال ومستواه كى تحدد وسائل وأساليب ومضامين الاتصال ، وكى يؤل الاتصال إلى التأثير فيهم . ومن جانب آخر فإن وسائل الاتصال الثقافى بالأطفال تعد مثيرات أساسية لتفكيرهم وهى من أجل أن تحقق ذلك لابد لها من أن تلتزم بمجموعة من الشروط والضوابط منها[٨] :

- أن توفر وسائل الاتصال الخبرات للأطفال نظراً لما للخبرات من أهمية فيما له علاقة بحياتهم خاصة . ومن بين الخبرات التى يمكن أن توفرها هذه الوسائل للأطفال ما يطلق عليه «الخبرات العوضية» التى تتوسل بمسرحة الأفكار وإخراجها فى شكل درامى بحيث يتوحد الأطفال معها على أساس أنها تعويض عن الواقع .
- عدم حشو أذهان الأطفال بالمعلومات . لأن حفظ المعلومات فى حد ذاته لاقيمة له

مادامت المعلومات عرضه للتغيير ، ومادام الكثير منها لايرتبط بحياة الأطفال ارتباطاً وثيقاً . ويلاحظ أن بعض وسائل الاتصال بالأطفال لا تغالى فى حشو المعلومات فى أذهان الأطفال فحسب ، بل هى تنقلها إليهم بطرق تبدو وكأنها ميكانيكية دون أن تتيح لهم المجال للتفكير .

- العمل على إخراج الأطفال من سلبيتهم عند تعرضهم للاتصال . لأن السلبية تدفع إلى جمود الفكر ، بينما يلعب التعامل الإيجابى مع مضمون الاتصال دوراً مهماً فى تحقيق اتصال فعال ، وبالتالى إحداث تأثير .

- إتاحة الحرية للأطفال للتعبير عن أفكارهم والعمل على إبعادهم عن الانفعالات الحادة التى تعيق عملية التفكير كالقلق والخوف الشديد والغضب .

- لما كان الأطفال ميالين إلى توجيه أسئلة كثيرة ومنوعة بحيث أطلق على فترة الطفولة فترة السؤال ، لذا يشترط أن تستغل وسائل الاتصال هذه الأسئلة ، بأن تجعلها أداة لحفزهم على التفكير ، مع مراعاة عدم اللجوء فى جميع الحالات إلى تقديم الجواب أو الحل بصورة مباشرة .

- العمل على تنمية قدرة الأطفال على النقد والحكم، وإكسابهم العادات التى تبعدهم عن التسرع فى إطلاق الأحكام ، وتشجيعهم على مناقشة ما يعن لهم .

- نظراً لما للغة من علاقة بالتفكير ، فإن أمام وسائل الاتصال مهمة إنماء ثروة الطفل اللغوية ، إذ إن الحصيلة اللغوية الثرية تمهد لهم إدراكاً وفهماً أدق ، كما تمهد لهم التعبير عن أفكارهم وأحكامهم بشكل أكثر سلامة ودقة .

- مواجهة الأطفال بمشاكل عقلية تناسب مستوى نموهم العقلى ، لأن طرح مشكلات يرى الأطفال أنها تقل عن مستواهم تشكل مدعاة لاستخفافهم بها . بل إن طرح مشكلات تفوق ذلك المستوى بكثير يقودهم إلى مشاعر قد تقود إلى الإحباط .

- العمل على تدريب الأطفال على الطرق الصحيحة والمنظمة فى التفكير ، لأن تعلم التفكير ليس أمراً ميسوراً مادامت له قواعد وأسس ومراحل .

- إشاعة قيم المرونة فى تفكير الأطفال من خلال العمل على تعميق وعى الأطفال بأن الأفكار ليست جامدة بل هى عرضة للتغير .

وبوجه عام فإن أمام وسائل الاتصال مهمة العناية بإثارة عملية التفكير المنظم لدى الأطفال لأن هدف الاتصال ليس نقل الثقافة من جيل إلى جيل بنفس عناصرها وبنيانها ، بل نقل عصارة ثقافية جديدة .

الاتصال بالأطفال :

عناصر الاتصال واحدة سواء كان هذا الاتصال موجهاً إلى الكبار أم إلى الأطفال . ولكن طبيعة الاتصال بالأطفال هى التى تختلف عن طبيعة الاتصال بالكبار .

ونشير فى هذا الصدد إلى العناصر التالية[٩] :

المصدر :

يلزم أن تتوافر لدى المصدر مهارات ترميز ، بحيث يستطيع وضع المضمون فى رموز يحدث أعمق تأثير ممكن فى الأطفال ، بالإضافة إلى فهم طبيعة الجمهور المستهدف . ويجب أن يحظى المصدر بثقة الأطفال .

الرسالة:

هناك عدة شروط يستلزم توافرها فى الرسالة الموجهة إلى الأطفال وهى :

ـ أن تصمم وترسل إلى الطفل فى صيغة تثير انتباهه ، وأن تصل إليه فى وقت ومكان مناسبين ، وأن تحمل من العناصر ما يجلعها جذابة له .

ـ أن تستخدم فيها الرموز التى يستطيع الطفل فكها دون عناء .

ـ أن تثير الحاجات الشخصية للطفل ، وتقترح بعض الطرق لمقابلة تلك الحاجات . وأن يراعى فى وضعها موقع الطفل فى الجماعة أو الجماعات التى ينتمى إليها أو يتصل بها نظراً لما لتلك الجماعات من أثر فى سلوك الطفل الاتصالى .

ـ أن تراعى مدى نمو الطفل من النواحى الاجتماعية والعاطفية والعقلية ، وأن يكون من بين أهدافها الأساسية إنماء هذه النواحى .

ولكن الرسالة التى يعدها المصدر لاتصل كما هى إلى جمهور الأطفال . ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها ما هى طبيعية ومنها ما هى نفسية واجتماعية وأبرز هذه العوامل :

ـ التشويش فى دلالات الألفاظ والذى يحدث عند استخدام المصدر لكلمات لايتسع لها قاموس الأطفال اللغوى ، أو لتعابير لاتقوى بعض مستويات الأطفال الادراكية على فهمها ، أو استخدام كلمات تحمل معنى معيناً بالنسبة إلى المصدر وبينما تحمل معنى مختلف بالنسبة للأطفال .

ـ اختلاف إطار الدلالة للمصدر عن إطار الدلالة للأطفال . فقد أثبتت العديد من الدراسات أن المستقبل يفسر الرسالة الاتصالية استناداً إلى إطار الدلالة الخاصة به ويتكون هذا الإطار أفكار الشخص وميوله واتجاهاته النفسية ، وكذلك أفكار وميول واتجاهات الجماعة أو الجماعات التى ينتمى إليها أو يرتبط بها .

ـ افتقار بعض الأطفال إلى بعض المهارات الاتصالية .

الوسيلة:

لكى يصح إطلاق الجماهيرية على وسيلة الاتصال بالأطفال ينبغى أن يتوفر شرطان رئيسيان هما :

ـ أن يكون إنتاج الوسيلة متاحاً بسهولة بالمعنى المادى ـ لمعظم الأطفال فى الجماعات المختلفة فى المجتمع .

ـ أن تكون تكاليفها ضئيلة بالنسبة للطفل ، بحيث تكون ميسورة بصفة عامة من الناحية المادية .

وهناك من يضع شروطا أخرى لوسيلة الاتصال بالأطفال منها أن تكون تلك الوسيلة أداة نقل للمضمون بحيث تصل إلى الأطفال فى وقت واحد أو أوقات متقاربة.

وعلى هذا يمكن القول بأن وسيلة الاتصال بجمهور الأطفال هى الأداة التى تبث إلى عدد كبير من الأطفال وسائل متماثلة فى وقت واحد .

الجمهور :

يتألف جمهور الأطفال من أشخاص ، ولكن هؤلاء الأشخاص يرتبطون عادة بجماعة أو عدد من الجماعات كعائلة وجماعة الأصدقاء وجماعة المدرسة وغيرها .

ويقاس جمهور أى وسيلة اتصالية وفق أربعة مقاييس هى :

١ ـ حجم الجمهور ، أى عدد الأطفال الذين يتعرضون للوسيلة الاتصالية .

٢ ـ تركيب الجمهور ، ويراد به الجماعة أو الفئات الاجتماعية التى يتألف منها جمهور الأطفال .

٣ ـ درجة تجانس الجمهور ، أى مدى الاختلاف بين أفراد وفئات الجمهور فى عدد من المتغيرات كالمستوى العمرى ومدى النمو والمستوى التعليمى .

٤ ـ طول التعرض ، ويراد به المدى الزمنى الذى يقضيه أفراد الجمهور فى الاستماع إلى الوسيلة أو فى المشاهدة أو القراءة .

ونشير هنا إلى أن جمهور الأطفال فى تعرضه لوسائل الاتصال ، دائم التغير من حيث مشاركة الطفل فى التعرض مع المجموع ، ومن حيث تعرضه الفردى . كما أن تعرض الطفل يترجح بين الزيادة والنقصان .

رجع الصدى :

يعتبر التعرف على رجع الصدى فى الاتصال بالأطفال ـ سواء شخصى أو جماعى أو جماهيرى ـ من الصعوبة بمكان نظراً لعدم التنبؤ الجيد بردود فعل الأطفال لما تتسم به إنفعالاتهم من خصوصية وتغير دائم ، مما يضيف صعوبة إلى التحديات الخاصة بالتعرف على رجع الصدى فى وسائل الاتصال الجماهيرى .

مراجع وهوامش الفصل الخامس

(١) لطفى بركات أحمد ، "التربية ومشكلات المجتمع" ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٧ ، ص ٥ .

(٢) هادى نعمان الهيتى . "ثقافة الأطفال" ، الكويت ، عالم المعرفة (العدد ١٢٣ مارس ١٩٨٨)، ص ٢٥ .

(٣) Joung, Kimball, "Sociology: Astudy of Society and Clture", P.31.

(٤) لطفى بركات أحمد . "التربية ومشكلات المجتمع" ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(٥) لطفى بركات أحمد ، المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٦) للاستزادة فى هذا الموضوع : أنظر لطفى بركات أحمد ، المرجع السابق ص ١٢٢ ، وبه دراسة تحليلية لأثر الثقافة فى الشخصية ونماذج لذلك . مثل حالة الطفلة الهندية (كمالا) ، التى أطلق عليها الطفلة الذئبة ، التى اكتشفت فى سنة ١٩٢٠ فى جحر ذئب بالقرب من (ميدنابور) فى الهند ، وعندها ثمانى سنوات ، ولم يكن فى أحوالها ما يدل على مظاهر السلوك الإنسانى ، ويخرج المؤلف من هذه الحالة وغيرها أن المكونات البيولوجية والعناصر الوراثية تضعف عندما تترك لشأنها ، إذ تعجز عن تكوين الشخصية الإنسانية .

(٧) هادى نعمان الهيتى . "ثقافة الأطفال" ، مرجع سابق ، ص٢٨-٢٩ .

(٨) هادى نعمان الهيتى . "ثقافة الأطفال" ، المرجع السابق ، ص٩٦ .

(٩) هادى نعمان الهيتى . "ثقافة الأطفال" ، المرجع السابق ، ص٥٤ .